



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

تقييم حالة | 6 أيار/ مايو، 2024

العرب في تقرير «السعادة العالمي»: هل من تقدم؟

حازم رحاطة

العرب في تقرير «السعادة العالمي»: هل من تقدم؟

سلسلة: تقييم حالة

6 أيار/ مايو، 2024

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2024

حازم رحاحلة

باحث ومدير في وحدة الدراسات الاقتصادية في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. حاصل على الدكتوراه في الاقتصاد من جامعة دارمشتات للتكنولوجيا في ألمانيا (2005). عمل مديراً عاماً في المؤسسة العامة للضمان الاجتماعي في الأردن ونائباً لرئيس مجلس الإدارة (2018-2022)، ومديراً للسياسات والدراسات في هيئة المدن الاقتصادية في السعودية، وخبيراً في وزارة الاقتصاد والتجارة في قطر، ومستشاراً اقتصادياً في الأمانة العامة للمجلس الاقتصادي الأعلى في السعودية، ومستشاراً اقتصادياً لوزارة المالية ووزارة العمل في الأردن، وعمل أيضاً مستشاراً في مجال إصلاح أنظمة التأمينات الاجتماعية في البنك الدولي ومنظمة العمل الدولية. له العديد من الدراسات الاقتصادية المتخصصة في مجال التأمينات والحماية الاجتماعية والسياسات العامة.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية عربية للعلوم الاجتماعية والعلوم الاجتماعية التطبيقية والتاريخ الإقليمي والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاث فهو يولي اهتماماً لدراسة السياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربية أو سياسات دولية تجاه المنطقة العربية، وسواء كانت سياسات حكومية، أو سياسات مؤسسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربية بأدوات العلوم الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية، وبمقاربات ومنهجيات تكاملية عابرة للتخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قومي وإنساني عربي، ومن وجود سمات ومصالح مشتركة، وإمكانية تطوير اقتصاد عربي، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحققها، كما يطرحها كبرامج وخطط من خلال عمله البحثي ومجمل إنتاجه.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

شارع الطرفة، منطقة 70

وادي البنات

ص. ب: 10277

الضعاين، قطر

هاتف: +974 40354111

www.dohainstitute.org

المحتويات

1. أولاً: الأكثر والأقل سعادة عالمياً: أين تقف الدول العربية؟
4. ثانياً: الأسباب الكامنة وراء السعادة: نحو نظرة أكثر موضوعية
5. 1. الدخل المرتفع ليس بالشرط الضروري ولا بالكافي
7. 2. البطالة: إلى أي حد تثبّط السعادة؟
7. 3. هل الفقر أكثر فتكاً بالسعادة؟
9. 4. الحرية الاقتصادية: هل تشكل متّسعاً للسعادة؟
11. ماذا بعد؟
13. المراجع

على مدار العقود السابقة، ظهرت مفاهيم ومؤشرات عديدة لقياس مستويات الرضا بين الشعوب والمجتمعات وتتبعها. فبعضها اتبع نظرة إيجابية، مركزاً على مفهوم «السعادة» وتقييم ما قد تجلبه إلى الشعوب، وأخرى قاربت هذه المستويات من منظور سلبي، مثل مؤشر المعاناة الذي يُصنّف الدول وشعوبها استناداً إلى الصعوبات والمعاناة التي يواجهونها. ولا تكمن أهمية مثل هذه المؤشرات في رصدها وتصنيف الدول والشعوب على أساسها فحسب، بل، على نحو أكثر أهمية، في تقييم السياسات العامة التي تنتهجها الدول بمختلف مجالاتها وأبعادها ومدى تأثيرها في حالة الرضا العام لشعوبها، وهي تشكل أيضاً مساحة لفهم ثقافات الشعوب وعلاقاتها وكيفية تعاملها ونظرتها إلى مجريات الحياة.

تقرير السعادة العالمي، الذي تُعدّه مؤسسة غالوب بالشراكة مع مركز أبحاث الرفاهية في جامعة أكسفورد وشبكة حلول التنمية المستدامة التابعة للأمم المتحدة ومجلس تحرير تقرير السعادة العالمي، والذي صدر أول مرة في عام 2012، بعد إطلاق المؤشر العالمي للسعادة في عام 2005، يقدم تصوراً عاماً عن مدى رضا الشعوب، وبعدهم أو قربهم من الحياة التي يطمنونها، وفقاً لقناعة عيّات ممثلة لمجتمعات الدول التي يشملها التقرير، وتقييمها، وقد وصل عددها 143 دولة حول العالم في عام 2023. وتستند الفكرة والمنهجية التي يتبعها التقرير إلى الفلسفة التي انطلق منها المؤشر الكلي للسعادة الذي أطلقته مملكة بوتان في عام 1972، وأصبح جزءاً من دستورها في عام 2008. ويستند التقرير إلى مسح سنوي، يشمل عينة ممثلة من شعوب الدول المشمولة لرصد انطباعاتهم حول مستوى السعادة التي ينعمون بها.

يستند ترتيب الدول وفقاً لمستوى سعادة شعوبها إلى ما يعرف بـ «سُلّم كانتريل» الذي يطلب من المستطلعة آراؤهم تقييم مستوى رضاهم وفقاً لمقياس يتكوّن من إحدى عشرة درجة، حيث تمثل الدرجة الأعلى (10) أفضل حياة ممكنة، في حين تمثل الدرجة الأقل (0) أسوأها. ويحاول المسح أيضاً استكشاف آراء المستجيبين حول بعض القضايا والظروف التي قد تُفسّر، على نحو ما، رضاهم ودرجة سعادتهم التي تُدرج تحت خمسة محاور رئيسية: الأوضاع الصحية، وتوقعات الأعمار، والسخاء والدعم الاجتماعي، والحريات، والانطباعات حول حدة انتشار الفساد. إضافة إلى متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي مقوّمًا بتعديل القوة الشرائية Purchasing Power Parity، باعتباره أحد العوامل الرئيسية التي قد تُفسّر درجة السعادة وتباينها بين الشعوب.

أولاً: الأكثر والأقل سعادة عالمياً: أين تقف الدول العربية؟

لم يحمل **تقرير السعادة العالمي 2024**، الصادر في آذار/ مارس، مفاجآت تُذكر على صعيد ترتيب الدول بحسب مستوى سعادة شعوبها. فما زالت الدول في الطليعة تحافظ على تقدّمها، والدول التي بدت أقل سعادة في الأعوام الأخيرة ما زالت على حالها. فالدول في الطليعة، وتحديداً العشر الأكثر سعادة، ما زالت تتركز في أوروبا، على وجه الخصوص الدول الإسكندنافية، إضافة إلى دولة الاحتلال الإسرائيلي التي حلّت في المرتبة الخامسة عالمياً. أما الدول العشر الأقل سعادة، فما زالت تتركز في القارة الأفريقية، ويستثنى من ذلك أفغانستان ولبنان اللتان حلّتا في المرتبة الأخيرة وقبل الأخيرة، على التوالي.

الجدول (1)

الدول العشر الأكثر والأقل سعادة على المستوى العالمي (2021-2023)

الترتيب	الأقل سعادة	الترتيب	الأكثر سعادة
134	زامبيا	1	فنلندا
135	إسواتيني	2	الدنمارك
136	ملاوي	3	آيسلندا
137	بوتسوانا	4	السويد
138	زيمبابوي	5	إسرائيل
139	الكونغو	6	هولندا
140	سيراليون	7	النرويج
141	ليسوتو	8	لوكسمبورغ
142	لبنان	9	سويسرا
143	أفغانستان	10	أستراليا

المصدر: من إعداد الباحث استنادًا إلى:

J. F. Helliwell et al. (eds.), *World Happiness Report 2024* (Washington, DC: Gallup; Oxford: Wellbeing Research Centre at the University of Oxford; New York: The UN Sustainable Development Solutions Network, 2024), pp. 15-17, accessed on 25/4/2024, at: <https://bit.ly/4dhqhDI>

أما على صعيد ترتيب الدول العربية، فقد استمرت في ذيل قائمة الدول في مستويات سعادة شعوبها، باستثناء الدول النفطية التي جاءت الكويت في طليعتها؛ إذ حلت في المرتبة الثالثة عشرة، تليها الإمارات في المرتبة الثانية والعشرين، ومن ثم السعودية في المرتبة الثامنة والعشرين¹. في حين جاءت البحرين وليبيا ضمن النصف الأكثر سعادة من العالم، حيث حلتا في المرتبة الثانية والستين والسادسة والستين، على التوالي.

الجدول (2)

ترتيب الدول العربية وفقًا لمؤشر السعادة العالمي (2021-2023)

الدرجة	الترتيب العالمي	الدولة
6.951	13	الكويت
6.733	22	الإمارات
6.594	28	السعودية
5.959	62	البحرين
5.866	66	ليبيا
5.364	85	الجزائر
5.166	92	العراق
4.879	103	فلسطين
4.795	107	المغرب
4.505	111	موريتانيا
4.422	115	تونس
4.186	125	الأردن
3.977	127	مصر
3.561	133	اليمن
2.707	142	لبنان

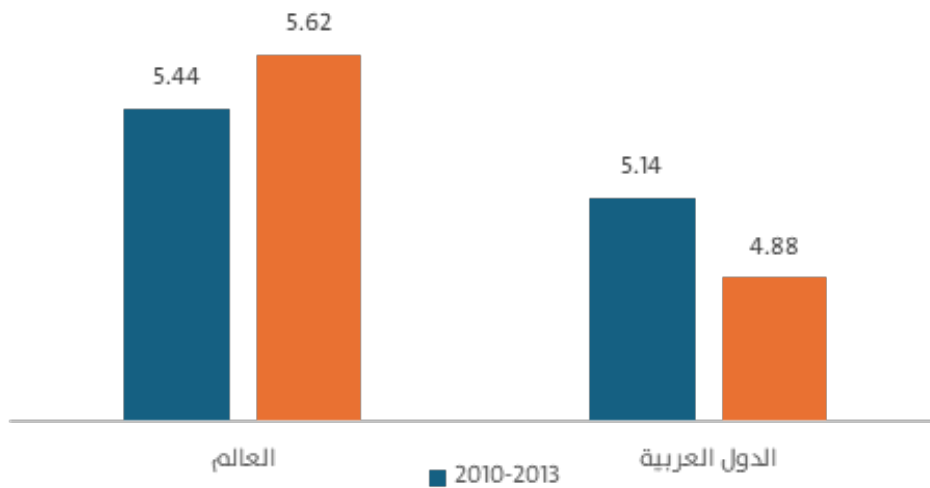
المصدر: المرجع نفسه.

1 لا يشمل تقرير السعادة العالمي 2023 قطر وسورية وعمان.

على الرغم من حدة الأزمات التي تعرّض لها العالم على مدار السنوات الأولى من العقد الحالي، ابتداءً من جائحة فيروس كورونا المستجد (كوفيد-19) (2019)، والحروب والتوترات الجيوسياسية الحاضرة في مختلف أرجاء العالم، وما ترتب عليها من تداعيات اقتصادية واجتماعية صعبة، فإن العالم بدأ أكثر سعادة مما كان عليه خلال السنوات الأولى من العقد الماضي (2010-2013). وعلى نحو مغاير، تراجع مستويات السعادة في الدول خلال الفترة ذاتها، بما في ذلك الدول الغنية بالموارد التي شهدت إما تراجعاً في مستوى سعادة شعوبها، كما في دولة الإمارات العربية، أو استقراره، كما في السعودية. هذا إضافة إلى أن مستوى السعادة في الدول العربية ما زال أقل من متوسطه العالمي، بل زاد بُعداً عنه خلال السنوات الأولى من العقد الحالي، مقارنة بالفترة ذاتها من العقد الماضي.

الشكل (1)

تطور مستوى السعادة في العالم والدول العربية (سلم كانتريل)



المصدر: من إعداد الباحث استناداً إلى:

J. F. Helliwell et al. (eds.), *World Happiness Report 2024* (Washington, DC: Gallup; Oxford: Wellbeing Research Centre at the University of Oxford; New York: The UN Sustainable Development Solutions Network, 2024), Appendices and Data, accessed on 25/4/2024, at: <https://bit.ly/4dhqhDI>

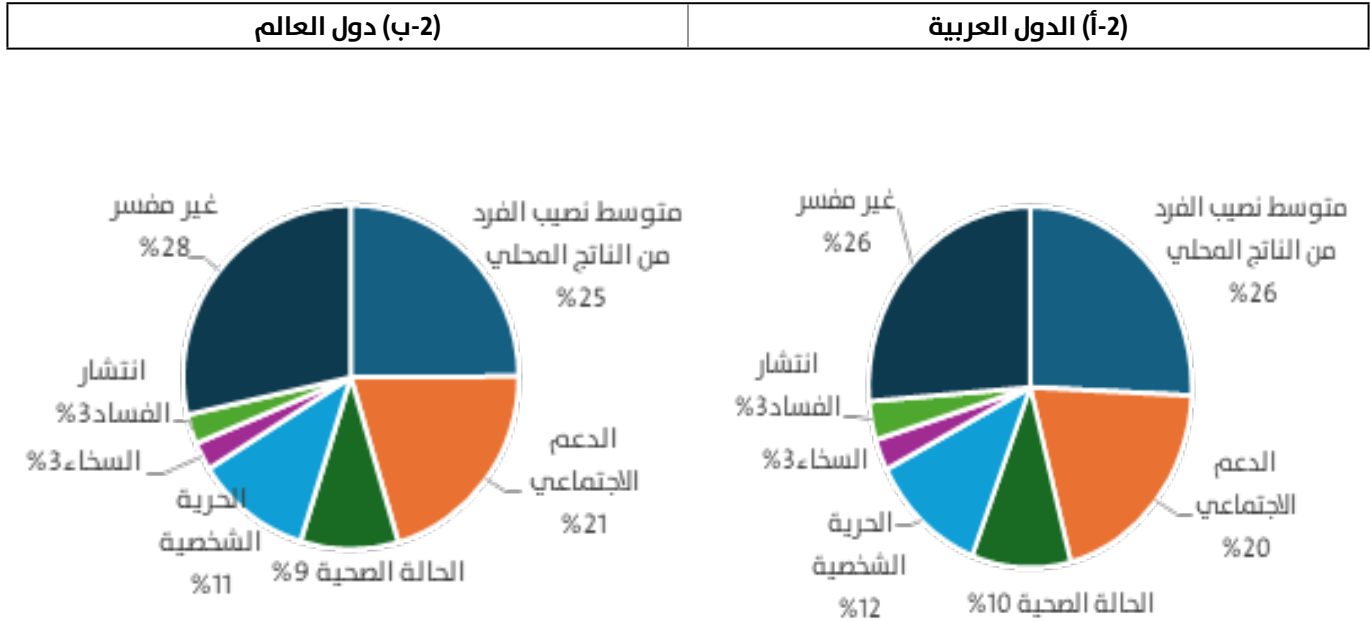
وحول الأسباب التي قد تُفسّر أسباب السعادة وتباينها بين دول العالم، يُظهر التحليل في التقرير أن الاعتبار الأخير (متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي)، يؤدي الدور الإيجابي الأكبر في التأثير في مستوى السعادة، حيث يفسّر وحده نحو 25 في المئة منها، في حين جاء الدعم الاجتماعي المتمثل في إمكانية الحصول على الدعم من الأهل والأقارب والمجتمع المحيط في حال الحاجة إليه في المرتبة الثانية، بقدرة تفسيرية بلغت 21 في المئة. ثم جاءت الحرية الشخصية في المرتبة الثالثة، وتقييم الأفراد لحالتهم الصحية والنفسية والجسدية في المرتبة الرابعة. تليهما، على نحو أقل أهمية، حالات السخاء وغياب الفساد التي تُفسّر مجتمعة نحو 6 في المئة من أسباب السعادة على الصعيد العالمي.

أما في الدول العربية فلا يختلف تفسير الأسباب الكامنة وراء شعور الأفراد بالسعادة وتباينه كثيراً عن تفسيرها عالمياً، فالفروق في الأهمية التفسيرية محدودة، وتتركز في متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي الذي يفسر نحو 26 في المئة من أسباب السعادة فيها، مقارنة بنحو 25 في المئة عالمياً، ثم 20 في المئة

للدعم الاجتماعي، مقارنةً بنحو 21 في المئة عالمياً، ثم 10 في المئة للحالة الصحية، مقارنة بـ 9 في المئة عالمياً، والحرية الشخصية بواقع 12 في المئة، مقابل 11 في المئة عالمياً. وبطبيعة الحال، لا يعني هذا أن متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي هو أعلى عربياً مقارنةً بمتوسطه العالمي، بل إن أهميته في تفسير السعادة في الدول العربية أعلى من أهميته بالنسبة إلى العالم كله، وإن كان ذلك على نحو محدود جداً.

الشكل (2)

الاعتبارات التفسيرية للسعادة (الأهمية النسبية)



المصدر: المرجع نفسه.

ثانياً: الأسباب الكامنة وراء السعادة: نحو نظرة أكثر موضوعية

بطبيعة الحال، هناك من يشكك في واقعية الاستطلاع الذي يستند إليه **تقرير السعادة العالمي**، ووجاهته، كغيره من المسوحات واستطلاعات الرأي، ولكلٍ منطلقه الخاص في الانتقاد. فهناك من يشكك في فهم المستجيبين لمضمون مفهوم السعادة والمقصود منه، وأيضاً في قدرة القائمين عليه على فهم الإجابات التي يتلقونها، مستشهدين بآراء وأبحاث سابقة حول هذه الإشكالية، ومنها ما أُثير من القائمين أنفسهم على هذا التقرير². ومنهم من يشكك في النتائج التي توصل إليها التقرير، مستشهدين بوقائع ومعطيات تؤكد ذلك. فعلى سبيل المثال، كيف لدولة مثل فنلندا التي تحتل المرتبة الأولى عالمياً في المؤشر، والسويد التي تحتل المرتبة السادسة، أن تكونا في طليعة دول العالم سعادة، في الوقت الذي تعتبران من أكثر الدول إقبالاً على الأدوية المهدئة ومضادات الاكتئاب³. وهناك أيضاً من ينطلق من الفروق الثقافية بين الشعوب التي تجعل من مفهوم السعادة متبايناً في ما بينها، ويجعلها أكثر تحيزاً إلى الاعتبارات الثقافية المثالية السائدة فيها⁴.

2 Dee Gill, "The Unhappy Quest for a Happiness Index," *UCLA Anderson Review*, 14/9/2022, accessed on 25/4/2024, at: <https://bit.ly/49Y4Q87>

3 Richard Cooper & Yara Elmjouie, "Are these Really the World's Happiest Countries?" *Al Jazeera*, 18/8/2023, accessed on 25/4/2024, at: <https://bit.ly/3UMy5q9>

4 E. Simon-Thomas, "Are World Happiness Rankings Culturally Biased?" *Greater Good Magazine*, 20/3/2023, accessed on 25/4/2024, at: <https://bit.ly/4aYUiqr>

وإذا ما سلّمنا بوجاهة النتائج التي أفضى إليها التقرير، ووضعنا جانبًا هذه الانتقادات وغيرها التي عادةً ما تواجه الاستطلاعات الأخرى، فدعونا نحاول البحث في الأسباب المُفسّرة لتباين مستويات السعادة بين شعوب العالم، وهذه المرة استنادًا إلى مؤشرات ذات دلالة نظرية وتفسيرية وآراء أخرى جرى استنباطها من استطلاعات أخرى. وهي محاولة أيضًا لتجاوز ما يعرف بـ «انحياز الإجابة» التي قد تكون ماثلة في الاستطلاع الذي استند إليه **تقرير السعادة العالمي**. بمعنى أن الإجابات عن الأسئلة التي تضمّنها الاستطلاع قد تتأثر بالإجابة عن السؤال الأساسي الذي يطرحه، واحتُسب مؤشر السعادة على أساسه.

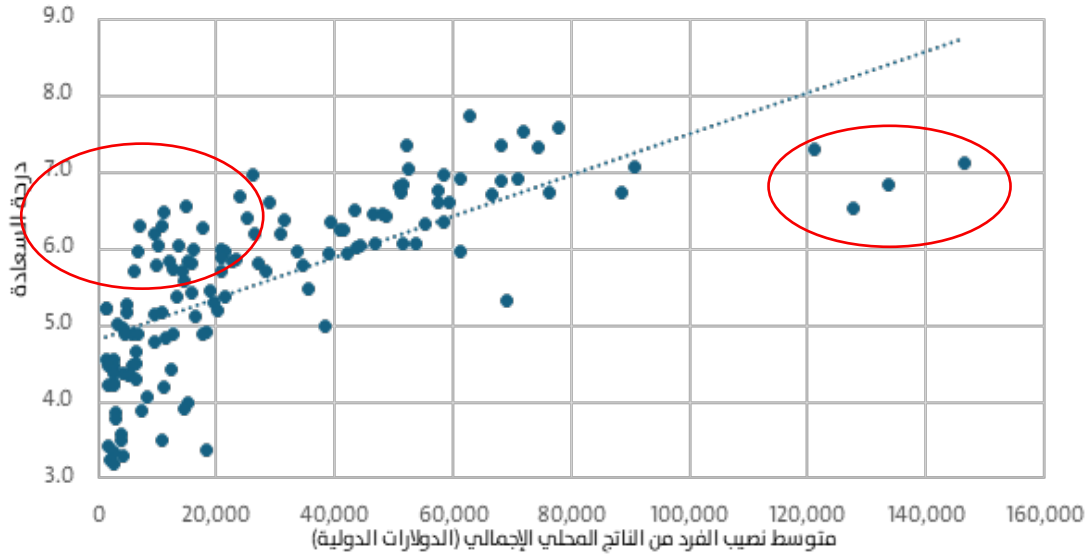
1. الدخل المرتفع ليس بالشرط الضروري ولا بالكافي

لنتناول متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي، كون الانطباع السائد هو أن الدخل والثروة مصدرًا للسعادة، وهذا للمناسبة ما أكّده التقرير من واقع تحليله أسباب التباين في مستويات السعادة بين دول العالم. وعلى الرغم من منطقية هذه الانطباعات وانسجامه مع المعتقدات السائدة لدى مختلف الشعوب، فإن المسألة ربما تكون أكثر تعقيدًا. فكما يتبيّن من مخطط الانتشار الذي يربط العلاقة بين متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي (بوصفه عاملاً مفسرًا) ودرجة السعادة التي احتسبها التقرير، فإن الارتباط بينهما إيجابي. لكن ما يثير الاهتمام هو أن العديد من الدول التي تمتلك دخلًا منخفضًا نسبيًا تظهر بمستويات أعلى سعادةً، مقارنة بقريناتها الأكثر دخلًا. فعلى سبيل المثال، تتقدم كوستاريكا في مستوى سعادتها كثيرًا على دول مثل مالطا وإيطاليا وقبرص، في الوقت الذي ينخفض فيها متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي عن نصف متوسطه في هذه الدول. وتتقدم كوسوفو في مستوى سعادتها على أكثر من 40 دولة حول العالم تتجاوزها في متوسط الدخل. والأمر ذاته ينطبق على المكسيك والأوروغواي والسلفادور وغيرها من الدول التي لديها دخل أقل كثيرًا، ومستوى أعلى سعادةً. ومن منظور آخر، هناك العديد من الدول التي يزيد أو يقترب نصيب الفرد فيها من الناتج المحلي الإجمالي من مستواه في فنلندا؛ الدولة الأكثر سعادة في العالم، مثل هونغ كونغ والبحرين، وتبتعد عنها بمؤشر السعادة بـ 61 و85 مرتبة، على الترتيب.

بصفة عامة، جاءت مستويات السعادة في الدول العربية أقل من نظيراتها في الدول التي تتساوى معها في متوسط الدخل أو تقترب منها، ولا سيما تلك الدول التي تُدرج عالميًا ضمن النصف الأقل سعادة، وهي مصر والأردن وتونس والمغرب وفلسطين والعراق والجزائر. وحتى الدول العربية التي تُدرج ضمن النصف الأكثر سعادة، فمنها التي لديها مستويات من السعادة تتناسب مع الدخل، مثل السعودية والكويت وليبيا، ومنها التي تبدو أقل سعادة عند مستوى الدخل ذاته، مثل الإمارات.

الشكل (3)

مخطط الانتشار لدرجة السعادة مع متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلي لعام 2022 (مقوّمًا بالدولارات الدولية الجارية)



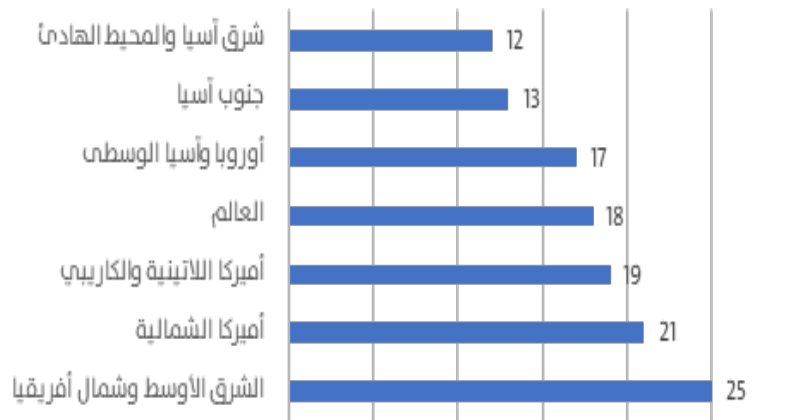
المصدر: من إعداد الباحث استنادًا إلى:

Ibid., pp. 15-17; The World Bank, "GDP per Capita, PPP (Current International \$)," 2022, accessed on 25/4/2024, at: <https://bit.ly/3wbtVhZ>

على الرغم من ارتباط السعادة إلى حد ما بمستويات الدخل، فإن التقدم بها (السعادة) لا يتطلب بالضرورة دخلًا مرتفعًا، ولا يُعدّ أيضًا الأخير ضمانًا للأول. وهذا بدوره يمنح الدول حيزًا أوسع للتفكير في سبل الارتقاء بمستويات سعادة شعوبها، على اعتبار أن زيادة الناتج المحلي الإجمالي ونصيب الفرد منه ليست بالمسألة السهلة، وتتطلب بالعادة زمنًا طويلًا، خصوصًا مع تعقّد المشهد الاقتصادي العالمي وتعاضم التحديات التي تواجهه. فعلى سبيل المثال، استغرق الأمر نحو 25 عامًا حتى تمكّنت دول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا من مضاعفة متوسط نصيب الفرد فيها من ناتجها المحلي الإجمالي، ونحو 17 عامًا في أوروبا وآسيا الوسطى، وفترة أقل، لم تتجاوز 12 عامًا، في شرق آسيا والمحيط الهادئ.

الشكل (4)

عدد السنوات المستغرقة لمضاعفة نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي



المصدر: من إعداد الباحث استنادًا إلى: The World Bank

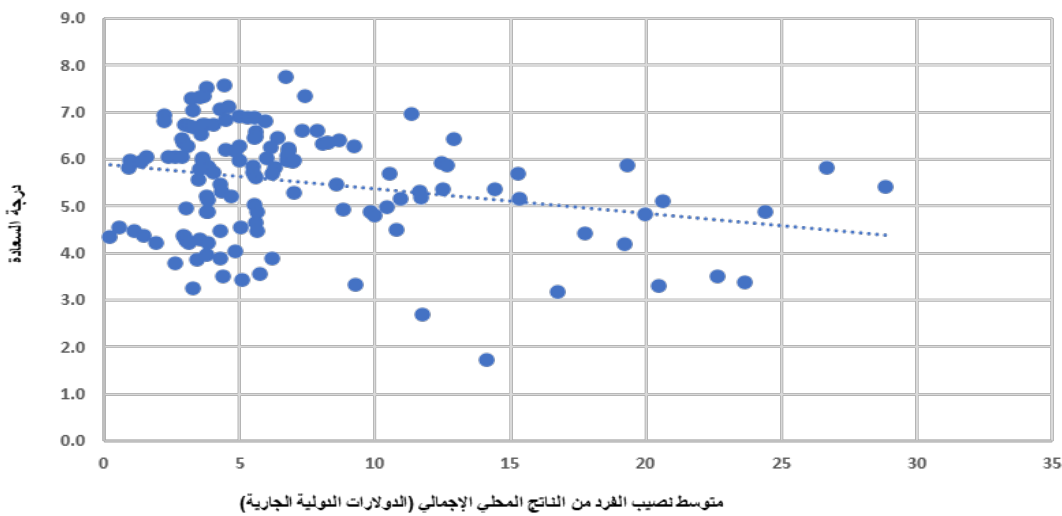
2. البطالة: إلى أي حد تثبط السعادة؟

توصلت دراسات تطبيقية عديدة شملت العديد من الدول حول العالم، إلى تأثير السعادة سلبياً على نحو ملحوظ، بالبطالة وفقدان العمل⁵. وقد تؤدي البطالة أيضاً دوراً في تفسير التباين في السعادة ومستوى الرضا بين البلدان التي شملها التقرير. ولعل أبرز ما يمكن استقراؤه عند المزج بين مستويات السعادة ومعدلات البطالة السائدة في الدول التي شملها التقرير، انخفاض البطالة عن حاجز 10 نقاط مئوية في نصف العالم الأكثر سعادة (أعلى 71 دولة في المؤشر)، ويُستثنى من ذلك كوستاريكا وإسبانيا واليونان والبوسنة والهرسك وليبيا ودومينيكا. في المقابل، يزيد معدل البطالة على هذا الحاجز في نحو ثلث الدول التي تُدرج ضمن نصف العالم الأقل سعادة. وعلى نحو مغاير في التفسير، هناك مجموعة واسعة من دول العالم التي لديها معدلات منخفضة للبطالة، تقل عن 5 نقاط مئوية، إلا أن معدلات سعادة شعوبها ضمن الأدنى عالمياً.

يبدو تفسير تباين مستويات السعادة بين شعوب العالم، استناداً إلى معدلات البطالة السائدة بينها، أكثر جلاءً في تحليل الانتشار الذي يُظهر ارتباطاً عكسياً بينهما، لكن على نحو أقل أهمية من تأثير متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي فيها (مستويات السعادة). ولا يعني ضعف العلاقة هنا، بطبيعة الحال، تجاهل هذه الإشكالية وعدم الالتفات إليها، فإضافةً إلى تأثيرها المباشر، للبطالة امتدادات متشعبة على اعتبارات وجوانب أخرى، مثل الفقر الذي سنتناوله لاحقاً، قد تكون أشد تأثيراً في مستويات السعادة.

الشكل (5)

مخطط الانتشار لدرجة السعادة مع معدلات البطالة



المصدر: من إعداد الباحث استناداً إلى:

Helliwell et al. (eds.), pp. 15-17; The World Bank, "Unemployment, Total (% of Total Labor Force) (Modeled ILO Estimate)," 2023, accessed on 25/4/2024, at: <https://bit.ly/3QoZxYq>

3. هل الفقر أكثر فتكاً بالسعادة؟

قد تلقى العبارات والحكم الموروثة عن الفقر والبؤس والغننى والسعادة ضالّتها عند الربط بين سعادة الشعوب ومعدّلات الفقر السائدة فيها. بداية، يتبين من تحليل الانتشار بين معدلات الفقر ومؤشر السعادة في عدد من الدول التي شملها التقرير، ارتباطاً عكسي وحاضر بقوة بينهما. فكلما ارتفعت معدلات الفقر،

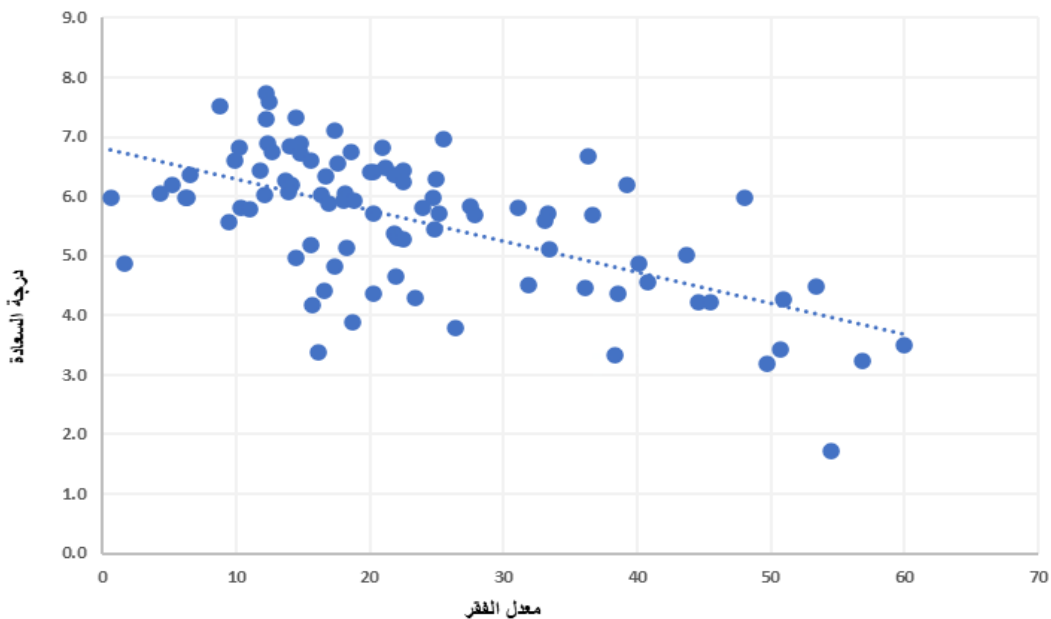
5 N. Carroll, "Unemployment and Psychological Well-Being," *Economic Record*, vol. 83, no. 262 (September 2007), pp. 287 - 302.

تراجع الشعور بالسعادة، والعكس صحيح، وهذه النتيجة بالتأكيد ليست مفاجئة. ربما اللافت في التحليل تلك الاستثناءات التي تحيد ببعض الدول عن هذا النمط، فهي تعاني معدلات فقر مرتفعة، وتتمتع في الوقت نفسه بمستويات سعادة مرتفعة نسبيًا. واللافت أيضًا أن غالبية هذه الدول، مثل المكسيك والأرجنتين وكوستاريكا، تقع في أميركا اللاتينية، ويثير هذا بدوره تساؤلات بشأن الاعتبارات الجامعة التي تجعل شعوب هذه الدول أكثر سعادة من غيرها، على الرغم من تردّي ظروفهم المعيشية. وعلى نحو مغاير، هناك عدد من الدول، بينها الدول العربية، التي تعاني مستويات أقل في معدلات الفقر، إلا أن مستويات السعادة لديها متدنية.

ربما جانب من التفسيرات المحتملة لمثل هذه الأنماط المتناقضة بين السعادة والفقر، يتطلب اللوج في تفصيلات أعمق، ولا سيما في الجانب المتعلق بعدالة توزيع الدخل ومدى تأثيرها في الرضا والسعادة. علمًا أن هذه العلاقة هي أيضًا محل خلاف بين الباحثين والمتخصصين، فمنهم من يرى ويبرهن على أنها سلبية؛ بمعنى أن زيادة هوّة التباين بين الدخل تؤثر سلبًا في مستويات السعادة، ومنهم من يرى أنها إيجابية، ومنهم من لا يرى أي علاقة تربط بينهما⁶. وبطبيعة الحال، فإن برهنة أيّ منها يتطلب قدرًا وافيًا من البيانات الحديثة نسبيًا التي تقيس حدّة التباين في الدخل، مثل معامل جيني، وهو غير متوافر لشريحة واسعة من الدول، من ضمنها الدول العربية.

الشكل (6)

مخطط الانتشار لدرجة السعادة مع معدل الفقر⁷



المصدر: من إعداد الباحث استنادًا إلى:

Helliwell et al. (eds.), pp. 15-17; The World Bank, "Poverty Headcount Ratio at National Poverty Lines (% of Population)," Most Recent Years, accessed on 25/4/2024, at: <https://bit.ly/3UFaaZq>

⁶ Zonghuo Yu & Fei Wang, "Income Inequality and Happiness: An Inverted U-Shaped Curve," *Frontiers in Psychology*, vol. 8 (November 2017), accessed on 25/4/2024, at: <http://doha-institute.org/AN8>

⁷ معدلات الفقر تمثل سنوات مختلفة بحسب تاريخ احتسابها في كل دولة من الدول المشمولة في التحليل.

4. الحرية الاقتصادية: هل تشكل متسعاً للسعادة؟

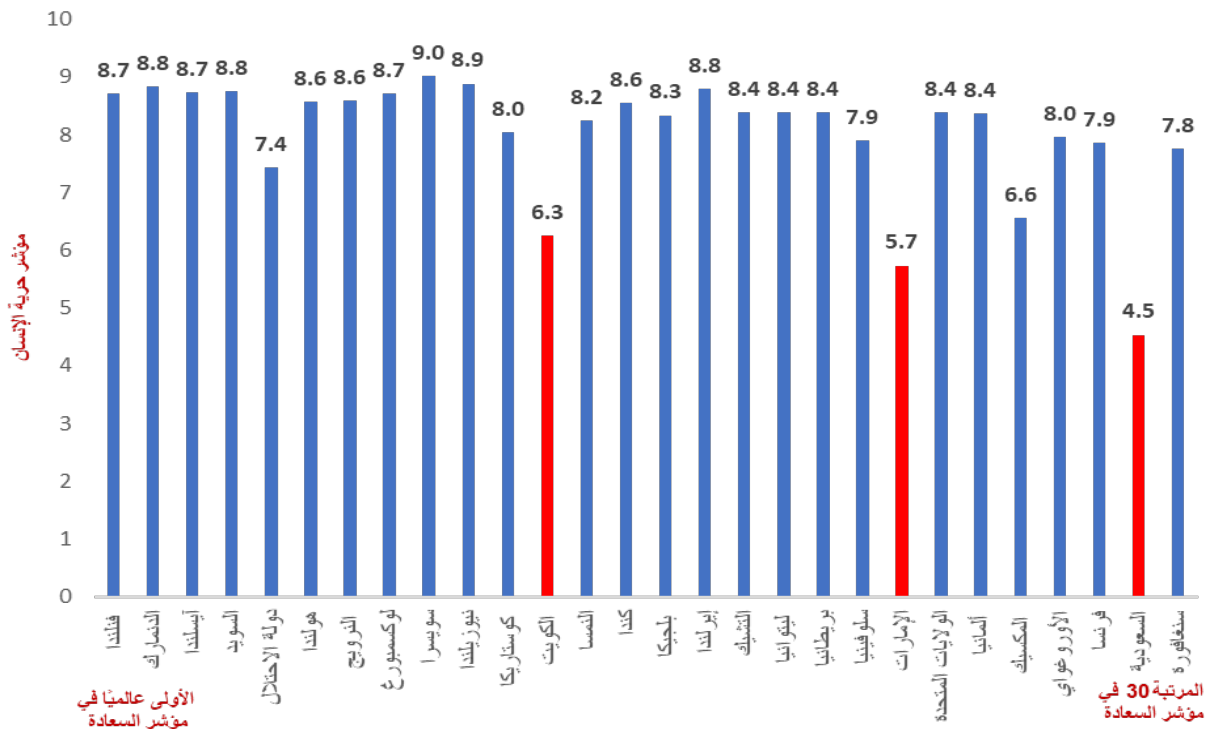
في معرض تحليل التقرير للأسباب التي قد تقف وراء السعادة بين الشعوب وتباينها بين الدول، يتناول مسألة الحرية الشخصية ومدى توافرها من وجهة نظر المستلعة آراؤهم واتجاهات تأثيرها، حيث يُظهر التقرير دوراً كبيراً لها في تعزيز النظرة الإيجابية في الحياة، لكن من دون أن يكون لها دور ملموس في تفسير السعادة.

نتناول هنا الحرية من وجهة نظر اقتصادية بحتة، على افتراض أن الاعتبارات الاقتصادية تؤدي دوراً مهماً في التأثير في مستويات السعادة وتفسير تباينها، كما جرى الاستدلال على ذلك في مواضع سابقة في التحليل. ولهذا الغاية، نسترشد بمؤشر حرية الإنسان Human Freedom Index الذي يعده معهد كاتو بالتعاون مع معهد فريزر والمعهد الليبرالي في مؤسسة فريدريك ناومان للحرية، والذي يستند إلى جملة من المؤشرات التي تعكس مستوى التقدم في تسعة محاور، من ضمنها سيادة القانون والأمن والأمان وحجم الحكومة وحرية التجارة الخارجية.

لعل أبرز ما يمكن استقراؤه عند المزج بين المؤشرين، السعادة ومؤشر حرية الإنسان، أن الدول كلها التي تبوّأت ترتيباً متقدماً في مؤشر السعادة تتمتع بالضرورة بمستوى متقدم في حرية الإنسان، مع استثناءات محدودة، تتركز في عدد من الدول العربية ودول أميركا اللاتينية، مثل الكويت والإمارات والسعودية والمكسيك، وهي الدول الوحيدة ضمن 30 دولة الأعلى ترتيباً في هذا المؤشر، والتي تقل درجتها فيه عن سبع نقاط.

الشكل (7)

مؤشر حرية الإنسان (لعام 2023) لأعلى 30 دولة في مؤشر السعادة⁸



المصدر: من إعداد الباحث استناداً إلى:

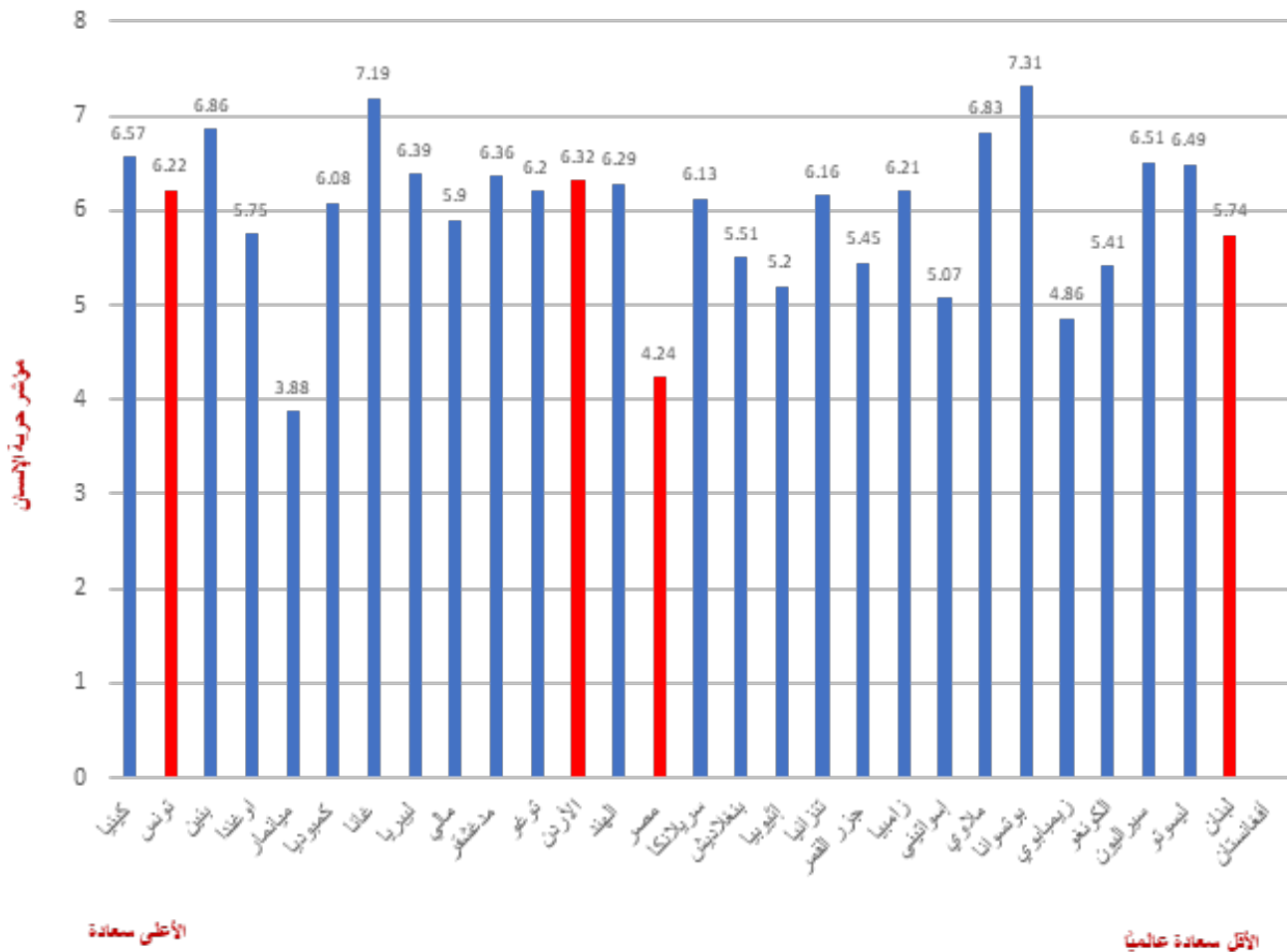
Ian Vásquez et al., *The Human Freedom Index 2023: A Global Measurement of Personal, Civil, and Economic Freedom* (Washington, DC: Cato Institute; Vancouver: The Fraser Institute, 2023), pp. 5-8, accessed on 25/4/2024, at: <https://bit.ly/3Qodfe5>

8 لا يشمل التقرير مؤشر الحرية الخاص بعدد من الدول، منها أستراليا وكوسوفو.

على نحو مغاير ومتوقع، تقلّ درجة مؤشر الحرية عن متوسطه العالمي (6.88) في الدول التي تُدرج ضمن النصف الأقل سعادة عالمياً، ومن بينها الدول العربية، ويُستثنى من ذلك غانا وبوتسوانا، إضافة إلى بنين وبوتسوانا اللتين تقتربان من المتوسط العالمي. ويأتي تأخر الدول في ترتيبها على مؤشر الحرية، وغالبية الدول العربية من بينها، متوافقاً إلى حد بعيد مع تدنيّ مستويات السعادة بين شعوبها. فمصر، على سبيل المثال، جاءت متراجعة جداً في مؤشر الحرية، وهي للمناسبة الأقل عالمياً بعد ميانمار وإيران، وكذلك فهي متراجعة على نحو مقارب في مؤشر السعادة العالمي.

الشكل (8)

مؤشر حرية الإنسان (لعام 2023) لأقل 30 دولة في مؤشر السعادة⁹



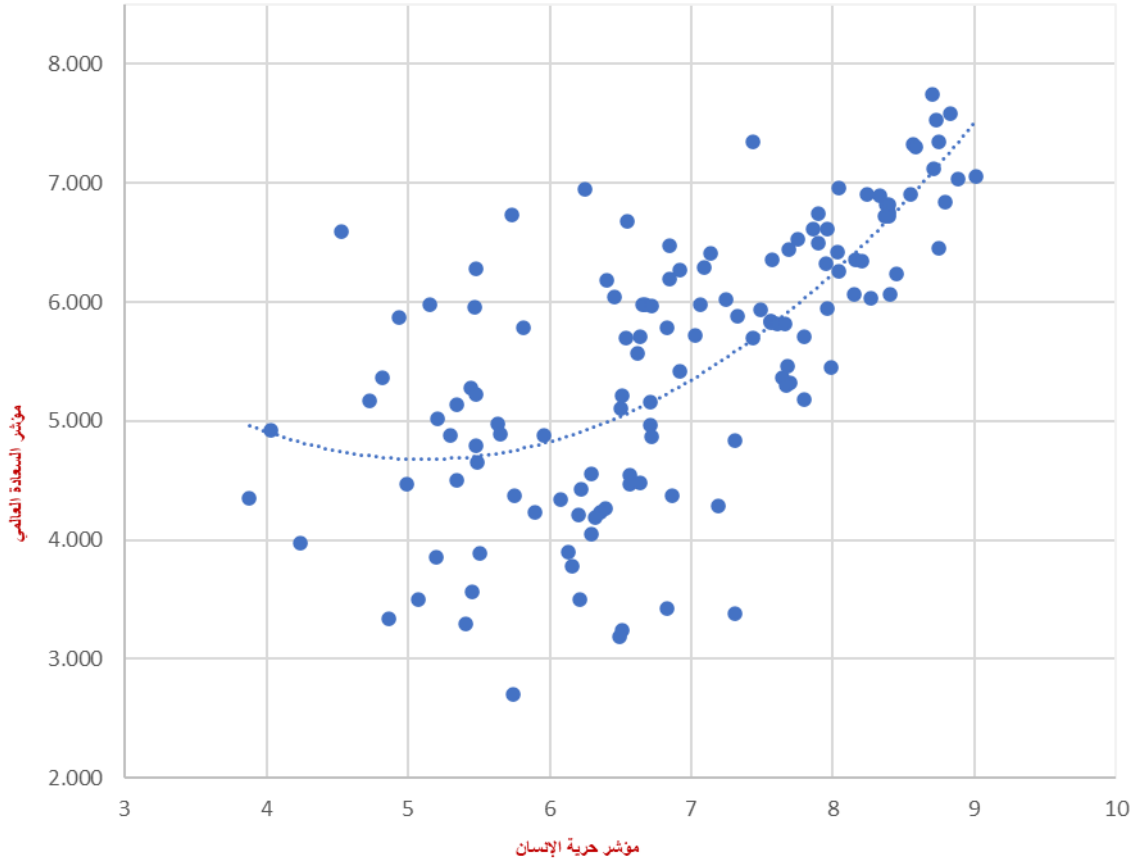
المصدر: من إعداد الباحث استناداً إلى: ibid., pp. 5-8

انطلاقاً من هذه المعطيات، تظهر الصورة جليّة من هذا الاستقرار السريع للانسجام الحاضر بين سعادة الشعوب ودرجة الحرية الاقتصادية التي تتمتع بها بلدانهم، وتقيد الأخيرة والتعاسة (الأقل سعادة)، وهو ما يؤكده أيضاً مخطط الانتشار الذي يُظهر ارتباطاً ملحوظاً بينهما.

9 لا يشمل التقرير مؤشر الحرية الخاص بعدد من الدول، منها اليمن.

الشكل (9)

مخطط الانتشار لدرجة السعادة مع مؤشر حرية الإنسان لعام 2023



المصدر: من إعداد الباحث استناداً إلى:

Ibid., pp. 5-8; Helliwell et al. (eds.), pp. 15 - 17.

ماذا بعد؟

يشير مؤشر السعادة العالمي العديد من التساؤلات بشأن وجهة المفهوم بدايةً، انتقالاً إلى روافعها ومسبباتها التي يجب علينا جميعاً، من باحثين وشعوب وحكومات، الوقوف عندها ملياً. فالدول العربية التي تظهر غالبيتها على مسافة بعيدة من السعادة، أمامها العديد من الفرص لإعادة التفكير في نهجها التنموي والسياسي والمؤسسي، على نحو يجعل من السعادة الغاية الرئيسة لها، فما الحكمة من تلك السياسات والجهود كلها، إذا لم تُفض إلى زيادة منسوب الرضا والسعادة بين شعوبها؟ وكذلك الشعوب التي يجب عليها الالتفات إلى محيطها ونسيجها الاجتماعي واستذكار القيم الإنسانية والدينية والاجتماعية التي تحض على التعاضد والتضامن، والتي يصورها **تقرير السعادة العالمي** باعتبارها سبباً رئيساً للسعادة، فقوة هذا التعاضد وضعفه هما ما يُفسران جانباً من تباين مستويات السعادة بين مختلف دول العالم.

ربما يجب على الحكومات، بدورها، إعادة النظر في نهجها التنموي، وأن تأخذ في الاعتبار السعادة وروافعها، التي إن تحققت تصبح ممكنة للرفاه الاقتصادي والاجتماعي. وفي الوقت الذي يُظهر التقرير الدخّل باعتباره

أحد الاعتبارات الرئيسة المحركة للسعادة، وهذا بطبيعة الحال قد يتطلب ردهة من الزمن، إلا أن حالات التنحي الإيجابي التي أظهرها التحليل عن ارتباط السعادة بالدخل، تُوجّهنا جميعاً إلى دراسة الظروف والاعتبارات التي جعلت شعوب العديد من الدول الأقل دخلاً والأكثر فقراً بين الدول الأكثر سعادة. وهذا بطبيعة الحال لا يعني صرف النظر عن إشكالية الفقر الآخذة في التصاعد في بعض الدول العربية، بل إن معالجتها، خصوصاً من خلال آليات إعادة توزيع الدخل، سيجعل لهذه السياسات مجتمعةً تأثيراً مضاعفاً في السعادة والرضا بين شعوبها.

وفي الوقت الذي أضحى التمويل معضلة وعائقاً أمام العملية التنموية في الدول العربية، إذا ما استثنينا الدول النفطية منها، فهناك فرص حقيقية ماثلة أمامها للارتقاء بمستويات سعادة شعوبها من خلال الاهتمام بالعوامل الأخرى المفسرة لها، ولا تتطلب بالضرورة مقومات تمويلية، مثل الحريات الاقتصادية التي لا يتطلب تحقيقها سوى الإرادة الصادقة والإدارة الفاعلة الكفيلة بإضفاء المزيد منها، من دون الإخلال بالثوابت الدينية والثقافية والوطنية.



المراجع

- Carroll, N. "Unemployment and Psychological Well-Being." *Economic Record*. vol. 83, no. 262 (September 2007).
- Gill, Dee. "The Unhappy Quest for a Happiness Index." *UCLA Anderson Review*. 142022/9/. at: <https://bit.ly/49Y4Q87>
- Helliwell, J. F. et al. (eds.). *World Happiness Report 2024*. Washington, DC: Gallup; Oxford: Wellbeing Research Centre at the University of Oxford; New York: The UN Sustainable Development Solutions Network, 2024. at: <https://bit.ly/4dhqhDI>
- Simon-Thomas, E. "Are World Happiness Rankings Culturally Biased?" *Greater Good Magazine*. 202023/3/. at: <https://bit.ly/4aYUiqr>
- The World Bank. "GDP per Capita, PPP (Current International \$)." 2022. at: <https://bit.ly/3wbtVhZ>
 _____ . "Unemployment, Total (% of Total Labor Force) (Modeled ILO Estimate)." 2023. at: <https://bit.ly/3QoZxYq>
 _____ . "Poverty Headcount Ratio at National Poverty Lines (% of Population)." Most Recent Years. at: <https://bit.ly/3UFaaZq>
- Vásquez, Ian et al. *The Human Freedom Index 2023: A Global Measurement of Personal, Civil, and Economic Freedom*. Washington, DC: Cato Institute; Vancouver: The Fraser Institute, 2023. at: <https://bit.ly/3Qodfe5>
- Yu, Zonghuo & Fei Wang. "Income Inequality and Happiness: An Inverted U-Shaped Curve." *Frontiers in Psychology*. vol. 8 (November 2017). at: <http://doha-institute.org/AN8>